

تحيز المعنى بين الحكاية والمنمنمة (قصة بياض ورياض أنموذجاً)

The Bias of Meaning Between the Tale and Islamic Miniature (Bayadh Wa Reyadh a Model)

المؤلف الثاني أ.د. لؤي علي خليل

المؤلف الأول*¹ لجين محمود عامر

loui.khalil@qu.edu.qa كلية الآداب/ جامعة قطر

la170706@student.qu.edu.qa كلية الآداب/ جامعة قطر

معلومات المقال ARTICLE INFO	ملخص (لا يزيد عن عشرة أسطر) ABSTRACT
تاريخ الاستلام 2024/03/21 تاريخ القبول 2024/05/05 تاريخ النشر 2024/05/28	تبحث هذه الدراسة في الفروق والتشابهات بين الحكاية والمنمنمة الإسلامية في قصة مهمة في تاريخ السرد العربي، هي قصة (بياض ورياض). تُرجمت إلى الإسبانية بعد أن تنقلت بين المتاحف الأوروبية وحققتها في العربية صباح جمال الدين عام 2014. قارنت الدراسة بين الحكاية والمنمنمة لعدد من الأسباب، منها أن المخطوطات قديماً كانت عرضة للتحريف، وقد تمر على خطاطين ورسامين ذوي خلفيات ثقافية مختلفة، فيرسمون أحداثها، بحسب فهمهم لها، فينتج عن ذلك تباين في العلاقة بين الحكاية ومنمنماتها، فتتغير كل منهما لمعان ترتين لاختلاف ثقافة صاحباها؛ مما ينتج عنه تباينات في دلالاتها. فسعت الدراسة لمقارنة الحكاية بالمنمنمة داخل النص على مستوى العناصر السردية المشكّلة للمعنى، وذلك بمقارنة العناصر الموجودة والغائبة في كل من المنمنمة والحكاية. ولتحقيق هذا الغرض، افتتحت الدراسة بمدخل نظري تلي المقدمة، وخُصص ما تبقى من الدراسة لمقارنة العناصر الموجودة أو الغائبة بين الحكاية والمنمنمة. وتوصلت الدراسة إلى وجود اختلافات واتفاقات ذات طابع إيجابي بين الحكاية والمنمنمات.
الكلمات المفتاحية بياض ورياض، المنمنمات الإسلامية، تحيز المعنى، النقد الثقافي.	Key words (05) Bayad wa Riyad, Islamic miniatures, meaning bias, cultural criticism.

المؤلف المرسل : ¹ لجين محمود عامر

study was based on comparing the narrative elements in the story and miniatures focusing on comparing the present, missing and excess elements between them.

مقدمة

بياض ورياض قصة من التراث الحكائي العربي، يُعتَقَدُ أن أصلها يعود إلى المغرب العربي، وأنها نُقلت إلى فرنسا فاكْتُشِفَتْ في مخطوطة هناك، ثم نُقلت إلى روما، وترجمها إلى الإسبانية الأستاذ أ. ر. نيكل. وتأخر تحقيق مخطوطة القصة في الثقافة العربية المعاصرة إلى القرن الحادي والعشرين، إذ حقّقها د. صباح جمال الدين عام 2014م، وذهب إلى أنها من تأليف أبي الحسن بن زريق الشاعر البغدادي الذي ارتحل إلى الأندلس وتوفي هناك في منتصف القرن الرابع الهجري؛ بسبب التشابه بين الحكاية وما ورد في قصيدة ابن زريق.

ويرى بعض الدارسين أن حكاية (بياض ورياض) تعد أول مظهر من مظاهر الرواية بمعناها الفني الحديث، غير أن ما يلفت الأنظار في هذا النص النادر هو وجود منمنمات تصويرية داخل الحكاية تحاول أن تحاكي أو تمثّل بعضاً من تفاصيلها، ولكنها مصوّرة من وجهة نظر فنان أبدع تصويره للمنمنمة بعد زمن من تأليف الحكاية.

ويفتح الفارق الزمني بين تأليف القصة ورسم المنمنمات المجال واسعاً لمناقشة مدى التزام المصوّر بالحكاية نفسها في منمنماته؛ ذلك أن عدداً من التفاصيل المنثورة في المنمنمات لا تبدو، للوهلة الأولى، تمثيلاً لأي عنصر من عناصر الحكاية وتبدو كأنها زائدة على فضاء الحكاية!

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة، إذ إن فهم علاقة المنمنمات بمشاهد الحكاية أساسي في فهم القصة التي ترويها، ذلك أن كلاً من الحكاية والمنمنمة مرهون إلى سياقات وأنساق ثقافية ظاهرة ومضمرة تفرض عليهما ضرباً من التحيزات التي قد تؤثر تأثيراً مباشراً في تشكيل الدلالة الكلية والجزئية.

ومن هنا نشأ تساؤل الدراسة عن علاقة التشابه والاختلاف بين أحداث الحكاية ومنمنماتها، وعن مدى التزام المصوّر بنص الحكاية في منمنماته، أو خروجه عنها. وتشكل بناءً على ذلك هدف الدراسة، وهو رصد مواطن الاتفاق والاختلاف بين أحداث الحكاية والمنمنمات التي تُمثّلها.

وبناءً على ذلك، تحددت الأسئلة البحثية التي تسعى الدراسة إلى الإجابة عنها، ولعل من أهمها:

- ما طبيعة الفضاء الذي يتشكل في المشاهد والمنمنمات في قصة بياض ورياض؟

-

- إلى أي مدى التزم المصور بمتن الحكاية في رسمه المنمنمات؟

- ما علاقة التشابه والاختلاف التي تربط الحكاية بمنمنماتها؟

وقد اختارت الدراسة أن تقرأ منمنمات حكاية بياض ورياض في ضوء النقد الثقافي؛ ذلك أنه منهج منفتح على دراسة كل منتج يمثل مظهرًا من مظاهر الثقافة، سواء أكان نصًا حكائيًا أم صورةً بصريةً، أم غير ذلك من مظاهر الثقافة؛ ذلك أن النقد الثقافي يهتم بالأنساق الثقافية التي تضمها النصوص، مما يعين على كشف المعاني والدلالات الثقافية التي تضمها الحكايات والرسومات (المنمنمات)، ويسمح بالوصول إلى تصوّر دقيق عن الأنساق الثقافية التي تحكم المنمنمات، ومعرفة علاقتها بتلك الأنساق التي تحكم بنية الحكاية التي تعبر عنها.

وسيكون لاهتمام النقد الثقافي بمختلف أنواع النصوص الفنية، المكتوبة منها، والمرئية، والمسموعة وغيرها، فائدة في المساعدة على الكشف عن الأنساق الثقافية في النثر والشعر والرسم؛ لاجتماعها معًا في المتن الحكائي لقصة بياض ورياض.

وبما أن حكاية بياض ورياض تقوم على نسقين من العلامات (نسق لغوي) و(نسق بصري) اعتمدت الدراسة في سبيل الوصول إلى ضبط الأنساق الثقافية المؤثرة في تحيزات المعنى (الجملة الثقافية) إجراءً منهجيًا يُعين على كشف مضمرات الحكاية، واعتمدت عناصر الصورة البصرية (مؤتلفة ومجمعة) بعدّها علامات دالة، مما فتح المجال واسعًا لكيف تقع الرسالة في حيز كبير من إجراءاتها المنهجية ضمن مجال السيميائيات الثقافية.

وتُعَدّ الدّراسات الأدبية التي تناولت العلاقة بين الحكاية والمنمنمة الإسلامية عامّةً، وفي حكاية (بياض ورياض) خاصةً، قليلةً بالقياس إلى أهميتها، فقد غلب على اهتمام الدارسين البعد التاريخي والفني، أو الاهتمام بالحكاية وحدها دون المنمنمة أو العكس؛ فمن الدراسات التي تناولت مخطوط (بياض ورياض):

البابلي، فؤاد. (2022) أثر المشرق العربي في قصة (بياض ورياض) من الأدب الأندلسي. دراسة منشورة في مجلة جامعة الأقصى للعلوم الإنسانية، المجلد 26، العدد 1. وقد اهتمت بإثبات تأثر الأدب الأندلسي بالأدب المشرقي من خلال قصة

(بياض ورياض)، فبيّنت أسلوب سرد القصة، ولغتها، ونقاط تقاطعها مع الأدب المشرقي، ولاسيما فن المقامات، ولم تهتم الدراسة بالعلاقة بين منمنمات الحكاية وحكاياتها الداخلية.

أما الدراسات التي تناولت المنمنمات الإسلامية:

الغزالي، حسن. (2018) **جدلية الواقعي والمتخيل في المنمنمات الإسلامية**. دراسة منشورة في مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد 22. عُنيت الدراسة بالوقوف على الواقعي والمتخيل في المنمنمات الإسلامية؛ ذلك أن المنمنمات تعكس أنماط ثقافة المجتمع، وعاداته، فحاولت الدراسة التمييز بين ما هو واقعي ويرتبط بثقافة المجتمع في المنمنمات وما هو متخيل من الفنان؛ للوقوف على معرفة دور الفنان في بلورة تمثّل العناصر الفنية في منمنماته. ولم تعن الدراسة بالعلاقة بين المنمنمات والحكايات من جهة المعنى أو من جهة الأنساق الحاكمة.

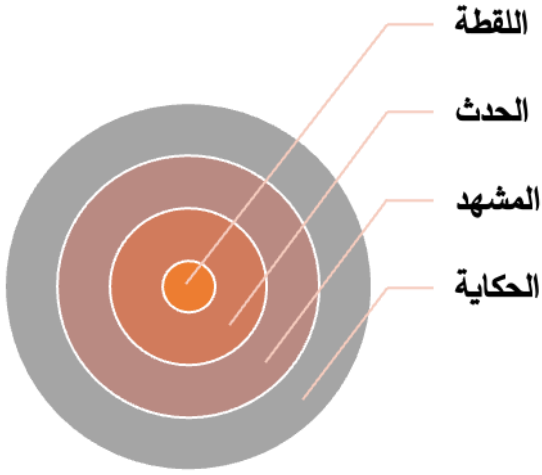
وثمة نوع من الدراسات السابقة شابها بهدفها هذه الدراسة، فأولت العلاقة بين النصوص والمنمنمات الإسلامية بعضاً من اهتمامها:

الغزالي، حسن. (2020) **جماليات تمثّل النص القرآني في التصوير الإسلامي**. دراسة منشورة في مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 56. اهتمت الدراسة بتعرّف جماليات تمثّل النص القرآني في المنمنمات الإسلامية، كما درست الأبعاد الجمالية في الفكر الفلسفي الإسلامي، ودرست تمثيلات الرمز الديني والرمز التشكيلي.

وليكتمل لهذه الدراسة تحقيق أهدافها بدأت بمدخل نظري عرض تعريفات المشهد والحدث واللقطة؛ لأن الدراسة ستعتمد هذه المفاهيم في تطبيقاتها الإجرائية، ثم شرعت في عرض المنمنمات بترتيبها الموجود في المصدر الذي اعتمدت عليه الدراسة، ومقارنتها ومقابلتها مع الحكاية التي تمثلها من جهة العناصر ومن جهة الأنساق لتبيان جوانب الاتفاق والاختلاف بينهما، مع الحرص على حذف الكلام على المنمنمات المتشابهة خشية الإطالة والتكرار، ولذلك بدا بعض النقص في تسلسل أرقام المنمنمات في الدراسة.

المشهد والحدث واللقطة

تُستعمل مصطلحات (المشهد والحدث واللقطة) عادةً في مجالات الأدب، كما تستعمل في مجالات سينمائية ومسرحية وتلفزيونية، وبالأخص اللقطة، التي تُستعمل لوصف حالة مرئية، مما عُدّ مصادر تعريفها، إلا أن وجود مستويات مختلفة للأفعال الحكائية والمشاهد المكانية في الحكاية، ولاسيما مع وجود المنمنمات التي تُصوّر بعض اللقطات من المشاهد، وتُمثّل بعض



الأحداث في المشاهد، لا كلّها، يجعل تقسيم الحكاية إلى مشاهد وأحداث ولقطات أوضح عند تحليلها ومقارنتها بالمنمنمات، وعند دراسة دور المنمنمات في الحكاية.

تعد الحبكة عنصراً أساسياً في أي عملٍ حكايةٍ درامي، إذ تحكّم الحبكة تنامي أحداث الحكاية حتى تصل إلى ذروة عقدها، ثم تبدأ بالانحلال شيئاً فشيئاً حتى تصل الحكاية إلى انحلالها التام في النهاية،^أ فهي أشبه بلعبة تركيب المكعبات التي لا بُدّ فيها من اختيار القطع المناسبة وتركيبها على نحو مدروس للحصول على حكاية تجري أحداثها بطريقة سلسلة ممتعة، ولذلك يحسن تجزئ الحكاية إلى وحدات متعددة الأحجام للتمكن من تحليلها بسلاسة.

ويمكن النظر إلى المشهد على أنه أكبر وحدة في الحكاية، لارتباطه بزمان، ومكان، وشخصيات، فكلما تغير المكان أو الزمان بدأ مشهد جديد^ب، فلا بد للمشهد أن تظهر فيه شخصيات مُحدّدة، وأن يدور في مكان وزمان مُحدّدين، فالمشهد الأول في الحكاية، على سبيل المثال، دار كله في بيت العجوز، والمشهد الثاني في القصر، والمشهد الثالث في حديقة القصر، وكانت شخصيات المشهد الأول العجوز وبياض فقط، وشخصيات المشهد الثاني العجوز ورياض والوصائف، والمشهد الثالث العجوز وبياض ورياض والسيدة والوصائف، أما عن الزمان فلم يُذكر في المشهدين الأول والثاني، أما المشهد الثالث فدار صباحاً، وقد اتفقت هذه العناصر في المشهد الواحد بغض النظر عن الحدث أو اللقطة.

أما الحدث فعنصر أصغر من المشهد، إذ يتكوّن المشهد من عدد من الأحداث^ج، ويرتبط الحدث بالفعل، فكلّ فعلٍ حدث، والحدث يُعرّف في السرديات بأنه الانتقال من حالة إلى أخرى في القصة، وقد استُبدل مصطلح الحدث بالفعل في بعض الدراسات الأدبية، بالذات الحديثة منها.^د

أي إن المشهد الثالث على سبيل المثال كان مُتعدد الأحداث، فبدأ بحدث خروج العجوز وبياض من البيت، ثم حدث وصول العجوز للبستان ورؤيتها ترتيب الجواري لمكان النزهة، ثم حدث قدوم السيّدة وبدء النزهة وغناء الجواري، ثم حدث وصول بياض وتعريفه نفسه، ثم حدث غناء بياض والجواري، ثم حدث غناء رياض ومعاتبة السيّدة لها، وحدث انفضاض الجمع أخيراً.

فيلاحظ أن هذه الأحداث كلها دارت في زمان واحد ومكان واحد، وأن الشخصيات الحاضرة فيه لم تتغيّر، وما اختلف وتغيّر من حدث إلى آخر هو أفعال الشخصيات فقط، مما يدل على أن الأحداث كلها جرت في مشهد واحد.

أما اللقطة فمصطلح أحدث من سابقه، وقد ارتبط بالتصوير لأنه يُعبّر عن صورة ثابتة، أو شبه ثابتة، لا يتغير فيها المكان أو الزمان أو الشخصيات أو أفعالها، ويمكن القول إن اللقطة فترة زمنية في الحدث لا تغيّر فيها الشخصيات وضعياتها^٧ وقد أُطلقت في هذه الدراسة على مقاطع الحكاية التي عبّرت عنها المنمنمة المصوّرة بالضبط؛ ففي المشهد الثالث، على سبيل المثال، تعبّر المنمنمة الرابعة عن اللقطة التي غنّى فيها بياض على العود فقط، مع أن حدث وصول بياض تضمّن كثيراً من اللقطات الأخرى، كسؤال السيّدة عن هويّته وتقديم الشراب له، وكذلك الحال في كل المنمنمات، إذ صوّرت لقطة واحدة فقط في الحدث الذي عبّرت عنه، إلا أن كل منمنمة من المنمنمات مثّلت الحدث الذي التّقطت منه، وتضمنت عناصر تدلّ على أفكار احتواها المشهد الذي تضمنها. وبهذا تكون الوحدة الأكبر في الحكاية هي المشهد، يليها الحدث، ثم اللقطة.

انقسمت أحداث حكاية بياض ورياض إلى تسعة مشاهد، تبعاً للمكان الذي دارت فيه الأحداث والشخصيات التي ركزت عليها، ولم يُذكر الحدث التاسع كاملاً لأن المحقق وجد صفحات المخطوطة ناقصة عند تحقيقها وتقديمها لقوله في مقدمة الكتاب: "ولسوء الحظ فقدت منه صفحات قليلة من أوله وآخره، ويبدو لي أن ما فُقد من أوله لا يزيد على الصفحة الواحدة."^٨ وملاحظة المحقق هذه دقيقة من ناحية النقص، ولكنها ليست كذلك من ناحية الكم، فالمفقود يزيد عن التسع صفحات، فالمنمنمة الثالثة عشرة والحدث المصاحب لها في الحكاية مكانها في بداية الحكاية لما وُجد في أحداثها مناسبة لذلك، ولأن نهاية الحدث الذي يسبقه وبداية الحدث الذي يليه ينسجمان بشكل يُتمّ معاهما، ويُرجّح أن صفحاتٍ سبقت هذا الحدث أيضاً، إذ يبدو أنه مُقتطع وتسبقه أحداث أدت إليه.

فمثلت المنمنمة الثالثة عشرة والأولى المشهد الأول، ودارت الأحداث التي مثّلتها في بيت العجوز، وشخصياتها بياض والعجوز، والمشهد الثاني مثّله المنمنمة الثانية ودارت أحداثه في القصر وشخصياتها السيّدة وبياض والوصائف والعجوز، وضم المشهد الثالث المنمنمة الثالثة والرابعة والخامسة؛ إذ دارت أحداثها كلّها في حديقة القصر، وشخصياتها السيّدة والعجوز ورياض

والوصائف وبياض، وضم المشهد الرابع المنمنمة السادسة، ودارت أحداثه في صهريج القصر، وشخصياته السيّد والعجوز وبياض، وضم المشهد الخامس المنمنمة السابعة، ودارت أحداثه في بيت العجوز، وشخصياته بياض والعجوز، وضم المشهد السادس المنمنمة الثامنة والتاسعة والعاشرة ودارت أحداثه عند نهر الثرثار، وشخصياته بياض وقريب العجوز والنسوة الثلاث

المشهد 9 في القصر	المشهد 8 في بيت العجوز	المشهد 7 في القصر	المشهد 6 عند نهر الثرثار	المشهد 5 في بيت العجوز	المشهد 4 في صهريج القصر	المشهد 3 في حديقة القصر	المشهد 2 في القصر	المشهد 1 في بيت العجوز
ولا منمنمة تدلّ عليه؛ لأن المخطوطة انتهت وسطه.	المنمنمة الثانية عشرة	المنمنمة الحادية عشرة	المنمنمة الثامنة المنمنمة التاسعة المنمنمة العاشرة	المنمنمة السابعة	المنمنمة السادسة	المنمنمة الثالثة المنمنمة الرابعة المنمنمة الخامسة	المنمنمة الثانية	المنمنمة الثالثة عشرة المنمنمة الأولى

اللاتي أتين بياض بأخبار رياض، وضم المشهد السابع المنمنمة الحادية عشرة، ودارت أحداثه في القصر، وشخصياته السيّد والعجوز والبياض والوصائف، وضم المشهد الثامن المنمنمة الثانية عشرة، ودارت أحداثه في بيت العجوز، وشخصياته بياض والعجوز وقريبها.

وتحسن الإشارة إلى أن المشاهد لم تُرتَّب بهذا الشكل في المصدر المطبوع الذي اعتمدته الدراسة، إذ ظهرت المنمنمة الثالثة عشرة في هذا المصدر في نهاية الحكاية، قبل المشهد الأخير الذي لم ترد له منمنمة، والذي دعت فيه السيِّدة بياض للقصر في غياب الحاجب، إلا أن موضع المشهد في الحكاية لا يتفق مع سير أحداثها، ولذلك ارتأت الدراسة أن هذا المشهد لا بُد أن يوضع في بداية الحكاية ليتم معناها، ويصبح تسلسلها منطقياً تبعاً لمجرى الأحداث، ومع ذلك فإن تحليلات المنمنمات قامت بناءً على ترتيب المصدر نفسه بحسب صفحات ورودها فيه، لأن تقديم المشهد الثالث عشر لا يؤثر في سير التحليلات، أو تغيُّر الدلالات في الحكاية والمنمنمات، وأنما يجعل تنامي الحكاية أكثر منطقية وسلاسة، فوجب التنويه إليه.

تمثيل بصري لمشاهد الحكاية ومنمنماتها:

الدراسة المقارنة

1 - المنمنمة 1

بداية الحدث	ص#	نهاية الحدث	ص#	المنمنمة	المنمنمة بالألوان
البداية	19	لدخولك قصر امرأة شريفة	23	23	
حوار بين العجوز وبياض؛ وصف العجوز وضع رياض لبياض، وطلب بياض بقاء رياض.					

اللقطة في الحكاية: الصفحات 21 - 23

فقلت له: وماذا تريد أكثر من هذا، أخبرتك باليسير فُجِيت واضطربت وقمت وقعدت، فلو رأيت أكثر ما كنت تفعل، إني والله لأراك



ضعيف العقل، والدليل على ضعف عقلك أنك عشقت في دار الحاجب وقد علمت قدره وسلطانة وعظيم شأنه وحبه لرياض ومكانها منه، فكيف وأنت غريب وعلى غير شكل أهل البلد، وهذا من القياس البعيد.

قالت العجوز: فلما سمع ذلك مني سقط على الأرض على جبينه وسالت دماؤه على وجهه، فلما رأيته على تلك الحال قلت في نفسي: إن هذا لذنوب عظيم جنيته على نفسي، أطعمت هذا الغريب المسكين ثم قطعت به، ليتني لم أطعمه بشيء. فكان كذلك حيناً ثم رفع رأسه ودمه يسيل من الجرح، فلما رأيته كذلك أشفقت لحاله، وقال لي: يا أماه فما الحيلة في ذلك؟

قلت له: يا بني الحب لا يكون إلا بالكتمان دون الفضيحة، فإن كل من سمعنا عنه من أهل العشق مثل قيس وكثير وعروة وأصحاب الهوى ممن يطول ذكرهم، إنما ابتلوا بذكري المعشوق في الشعر وبهتك الأستار بالتهيام والاشتهار والسقوط في الطرق والغشيان وخلع العذار، ومن كتم سره وسره لم يعرف له شيء ولم يكن له ذكر، وكثير من الناس عشقوا فجُهلوا إلا من افتضح وعُرف.

قالت العجوز: فقال لي يا أماه: ما لي ما أقول لك إذا قلت الحق، ولكن الهوى ضيف الكرماء، وحلية الأدباء، وخذن الظرفاء.

فقلت له: فما أنت صانع فقد والله رأيت رياضاً على أضعاف ما أنت عليه من محض الوداد وصفاء المحبة والاعتقاد، وسيدتها محبة في الذي تدعو إليه من النزهة وإحضارك لطيب المجلس، ونحن على وعد ليوم الجمعة إن شاء الله، فإذا أنت حلت فيه فاحكم لنفسك واملِك عليها ملك من يحكم عقله، فإذا نظرت فليكن نظرك إلى السيدة وإليّ كأنك لا تجد في نفسك شيئاً، فخير الناس من قاس قبل القطع ودبر قبل الفصل، فإن رأيت محبوبتك رياض ذات وقار وصمت وحلم وسكون كالذي يظهر منها رجوتها، وإن رأيتها، خفيفة طياشة فلا تعلق بها نفسك واصرف عنها قلبك، فالعقل أحسن ما خلق وخير ما العبد رزق، فاحفظ وصيتي يا بياض.

ليس في الحدث الحكائي الذي تمثله المنمنمة إشارة للمكان أو الزمان، ولم تُذكر فيه أي عناصر غير الشخصيات، واقتصرت شخصياته على بياض والعجوز، وكانت أدوارهما متساوية، فتارة يتحدث بياض وتارة تتحدث العجوز. ولقد صُوِّرَ هذا

الحدث في المنمنمة الموجودة في الصفحة (23)، ويبدو واضحاً أن المنمنمة تخلو من أي إشارة للزمان أو المكان، وتظهر فيها الشخصيتان الرئيستان الموجودتان في الحدث الحكائي؛ بياض والعجوز. ويبدو مجلسهما كأنه في بيت العجوز؛ لجلوس العجوز وبياض على فرش أرضي يوجد عادة في البيوت البسيطة.

كُشِطت المنمنمة بعض الشيء، فلا يتضح رسمها جيداً، كما أنها لا تتوافر على الألوان، وهذه العوامل حالت دون القدرة على وصف عناصرها وتحليلها بدقة، ويتضح أن العجوز تجلس على اليمين لما بقي من ملامح غطاء الرأس الذي ترتديه، ويجلس بياض مقابلها على اليسار لما يلبس من عمامة، إلا أن ملامح وجهيهما غير مرئية على نحو واضح، ولا تعابيرهما الجسدية، فلا يظهر غير أنهما يجلسان للحديث ويظهر أن بياض يضع يده على ركبته وحسب.

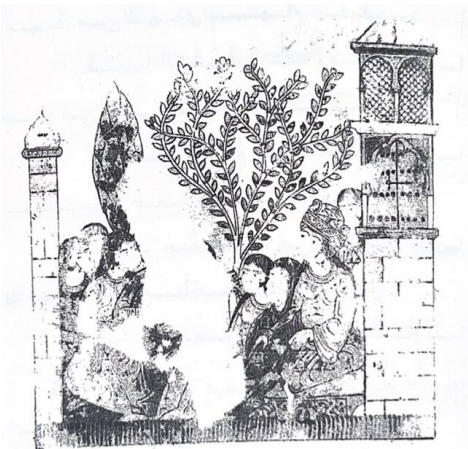
ومن خلال المقارنة بين المنمنمة والحكاية يمكن القول إن الأساسيات الكلية تبدو متفقة بينهما؛ من جهة الزمان والمكان المجهولين ومن جهة عدد الشخصيات، والمساحة المتساوية التي تحتلها الشخصيات في الحكاية والمنمنمة، أما العناصر المصاحبة للمشهد البصري أو الحكائي فلا يوجد إلا الفرش في المنمنمة، وهو عنصر إضافي غير موجود في الحكاية، ولكنه مفترض ذهنياً؛ فمن غير المعقول أن تجلس الشخصيات على الأرض مباشرة؛ ولذلك أضافه الرسام.

2 - المنمنمة 3

بداية الحدث	ص#	نهاية الحدث	ص#	المنمنمة	المنمنمة بالألوان
فاستوتقت منها	27	جميعه	38	29	
خروج السيدة والجواري إلى الحديقة وغناؤهن إلى حين قدوم بياض.					

اللقطة في الحكاية: الصفحة 27 - 31

... فلما أتيت الحديقة الغناء وجدت فيها المفارش والأوطئة والكراسي وأواني الطعام والشراب الفاخر بما يصلح لمثلهن متاعاً فقعدت يسيراً، إذ أقبلت الجملة والكبكة بفرش الحرير والهوداج من نوات العقل والشباب، فوالله لقد ظننت أن



الحديقة جنة مما رأيت من حسنهن وبديع شكلهن وبهجة حسنهن ومن المزاح وتدافع الجواري وأنواع الطواوين. وتصيب العرق على وجنتيه، بعد ذلك قالت لهن السيدة اقعدن واهدأن حينئذ قعدن وأتي بالطعام الطيب المنتخب يُقدّم من أنواع الفاكهة كل غريب، ثم أمرت بذلك كله للجواري والأعوان الواقفين على باب البستان، ثم دار اللهو والطرب وبدأت الأغاني، ثم قالت السيدة لجارية لها تسمى شمول: غنّ لنا صوتاً.

قالت: نعم وكرامة. فأخذت العود وسوّته واندفعت تغني هذه الأبيات [وافر].

تعبدني الهوى فبقيت صبا وخامرني فذاب القلب حبا

إلى آخر الأبيات...

فلما فرغت الجارية من شعرها قالت لها السيدة: عز والله عليّ يا شمول زينا من غنائك.

قالت: نعم وكرامة، فسوّت عودها وغنت بهذه الأبيات حيث تقول [كامل]:

لعب الهوى بمقلد الصبر فدفنت أسراري في قبر

الخ.....

دارت أحداث الحدث الحكائي في الحديقة، أي في مكان خارجي، ولكن من خلال الأحداث ووصف الحديقة يتضح أنها حديقة خاصة، أو مُسوّرة، فكان المكان مفتوح، لكنه مُقيّد في الوقت نفسه.

وقد ظهرت في الحدث أربع شخصيات؛ العجوز، وبياض، والسيدة، وشمول. كان دور بياض ضئيلاً جداً، فقد صاحب العجوز للبستان ثم اختفى من الحدث، أما العجوز فكان دورها بارزاً فقد كانت حاضرة طوال الحدث، ووصفت البستان للمتلقي، أما السيدة فكان دورها ضئيلاً ولكنه كان بارزاً، فهي المتحكمة بسير الأحداث، واقتصرت أفعالها على الأمر، تأمرهم بالسكوت فيسكتون، وتأمرهم بالحديث فيتحدثون، أما شمول فكان دورها بارزاً أيضاً، فقد اختارتها السيدة لتستفتح الجلسة بغنائها، وطلبت منها أن تزيدهم غناءً عند انتهائها، ووجدت شخصيات هامشية ترتبط بما تبقى من الجواري؛ غيداء، وكاعب، وعقار، ومدام، ورياض. أما العناصر التي وجدت في الحدث فعود بياض، والفرش والمتاع والطعام الذي أتت به النسوة، كما وجد عود مع النسوة، غنّت به شمول قبل حضور بياض.

صُوِّرَ هذا الحدث في المنمنمة الموجودة في الصفحة (29)، وظهر أنه صُوِّرَ نهاريًا لأن ألوان المنمنمة فاتحة، فنمت عن نور الشمس في الرسم. وظهرت فيه ثماني شخصيات، عددها ووصفها مطابق لعدد شخصيات ووصفها في حدث الحكاية، فالسيّدة في أقصى اليمين، تحتل ما يقرب ربع مساحة البستان في الصورة، وتجلس على مجلسها وتبدو مُرتفعةً عن غيرها ممن في المنمنمة، وإلى جانبها العجوز، تُعرف من غطاء رأسها الذي تميّز به، على الرغم من اختفاء ملامحها وعدم وضوح الصورة إثر التصوير، إذ مُسح جزء من المنمنمة، فلا تظهر الجارية التي تجلس في الوسط، ولكن جزءًا من ثوبها ظاهر، ويبدو أنها تُمسك العود وتغني، وخلفها ثلاث جوارٍ، وجارية خلف السيّدة، وجارية إلى جانب العجوز، فيُصبح مجموع الجوارى ست، كما هو عددهن في الحدث الحكائي الذي يسبق حضور بياض خلال وجودهن في الحديقة.

لم يكن الوصف الدقيق السخي في الحكاية حاضرًا في المنمنمة، فلا يظهر في المنمنمة من زينة البستان إلا عُشبه وشجرتين من أشجاره، ويتضح للمتلقّي من خلال مقارنة الحكاية بالمنمنمة أن الرّسام استغنى عن العديد من العناصر التي وُجدت في مشهد الحكاية، ولم يُبرزها في المنمنمة، ومن ذلك متاع النساء الذي ذُكر في الصفحة (27) والصفحة (28) من الحكاية.

إذ قالت العجوز إنها عندما وصلت الحديقة وجدت فيها "المفارش والأوطنة والكراسي وأواني الطعام والشراب والفاخر"^{vii} ولا يظهر أي من ذلك في منمنمة، فلا يمكن رؤية أي متاع إلا ما تجلس عليه السيّدة من فرش. ووصفت العجوز قائلة: "فوالله لقد ظننت أن الحديقة جنة".^{viii} أما في المنمنمة فلا يبدو أن في الحديقة ما يميّزها أو يجعلها مُبهرة، إذ ليس فيها إلا عُشب وشجرتان مختلفتان، ونساء كثيرات يجلسن فيها، ولا يبدو أن الحديقة تتسع لهنّ فقد حُشرن فيها بين السورين، وكان بإمكان الرّسام أن يرسم سورًا واحدًا ويترك الآخر ليعطي طولًا للحديقة في المنمنمة وتظهر أوسع مما ظهرت عليه.

ولا يُرى أيّ من الطعام أو المتاع والهواذج إلا ما تجلس عليه السيّدة. وقد رُسمت الحديقة بطريقة لا تتّمسك عن سعتها واتساعها في الحكاية، فظهرت النساء كأنهن مُكتظّات في الرّسمة، حتى إن الواحدة منهن لا تظهر في الرّسمة كاملةً لأن أخرى تغطيها، ويتبيّن من المنمنمة أن الحديقة التي اجتمعت فيها السيّدة والنساء حديقة خاصة، إذ سُورت بسورٍ عالٍ يبدو أطول من شجر الحديقة، ففي المنمنمة شجرتان مختلفتان، ورُسم السور أعلى منهما. ويبدو أن الحديقة ملاصقة للقصر من جهة، إذ يظهر أحد سوريّ الحديقة أعلى من الآخر، كما يوجد فيه تفاصيل كأنها واجهة من واجهات القصر، فتوجد في أعلى السور مقرنصات بتفاصيل وزخرفات، وما يُشبه الباب الخشبي الصغير، كأنه نافذة مُغلقة. ويصعب تمييز التفاصيل على نحو دقيق لأن الصورة لا تتوفّر بالألوان.

يمكن التوصل بذلك إلى جوانب الاتفاق والاختلاف بين المنمنمة والحكاية، إذ تمحورت جوانب الاتفاق حول أساسيات الحدث، أي زمانه ومكانه وشخصياته، والمساحة التي تحتلها الشخصيات في الحكاية والمنمنمة، ومن العناصر المصاحبة للمشهد لم يُمثل في المنمنمة من الحكاية إلا العُشب الطويل الأغصن، أما ما تبقى من العناصر التي تُزيّن المكان فقد أغفلها الرسام، فلم يُرسم البستان وما فيه من متاع وأطعمة، فبدأ خاليًا إلا من الشخصيات والعشب وشجرتين والفرش الذي تجلس عليه السيّدة.

3 - المنمنمة 6

بداية الحدث	ص#	نهاية الحدث	ص#	المنمنمة	المنمنمة بالألوان
فبتنا تلك الليلة	62	وسلمت عليها	71	64	105
حديث العجوز مع السيّدة في العفو عن رياض.					

اللقطّة في الحكاية: (64 - 66)



السيّدة: أرايت ما جرى في هذا الأمر، فقد والله أعياني أمرها وإنّها لمتجرّمة عليّ وإنّ نفسي مع هذا كله لمشفقة عليها وإنّ كبدي قد تفتّط وجسمي قد ذاب وحمامي قرب ولا أرضى عنها أبداً.

قالت العجوز: قلت لها: يا سيّدي لعل الله يُبدّل الضمائر ويزيل الضعائن، ونحن نساء بالجملة ناقصات العقول بلا دالة، فكيف بدالة والجنابة التي جنت رياض ليست هنالك، إنما ابتدأت أنت بالطرب والتغزل وإسقاط المؤونة والتحفظ، ودخلت معنا في ذلك وحملت رياض المسكينة الذنب لما قالت سكرًا خمرة وعقار، وفلانة وفلانة، فإن في أشعارهنّ وغنائهنّ أكثر من ذلك كلّهُ، لكن رياض من أجل السبب الذي كان، فجعلت لها الخطأ والشر، وما قال غيرها كان من خارج، وما قالت هي كان من داخل، ولعلهنّ كلهنّ إنما تغزلن به كما فعلت هي.

قالت السيّدة: صدقت ولكن الجناية التي جنت أنا جنيتها على نفسي وعليها، من أجل مهاودتي لها على ما أردت، وأنشأت تقول: (الكامل)

لو لم أبح للشؤم باباً لم يكن للشؤم في الدنيا عليّ سبيل

إلى آخر الأبيات...

خلا الحدث الحكائي من أي ذكر لتفاصيل المكان، فلم يُذكر أنه مكان خارجي أم داخلي، ولم يُذكر ما فيه من عناصر، سواء أكانت أثاثاً، أو نباتات، أو حيوانات، أو مقاعد، أو عواميد، أو لوحات، أو أي تفاصيل أخرى من زينة المكان التي يُحتمل أنها كانت موجودة في المكان في مخيلة الكاتب، فلم يذكر من عناصر المكان سوى الحوض. أما الزمان فُيستنتج من كلام العجوز حين قالت في بداية الحدث: "فلما أصبح الله بالصباح سرت إلى دار السيّدة"، أن زمن الحدث الحكائي يتعلق بوقت الصباح.

وانقسمت شخصيات الحدث إلى شخصيات رئيسة وشخصيات هامشية أو فرعية. أما الشخصيات الرئيسية، فالنساء الثلاث؛ السيّدة، والعجوز، ورياض. وأما الشخصيات الهامشية فالخادمت اللاتي استقبلن العجوز يبكين على رياض.

صوّر هذا الحدث في المنمنمة الموجودة في الصفحة (64)، وبدأت فيه إشارة ضمنية للزمان، فالمكان مُنير مما يُشير إلى أن الحدث دار في النهار. وظهرت فيه الشخصيات الثلاث الرئيسية الموجودة في حدث الحكاية؛ السيّدة، والعجوز، ورياض. وظهرت الصورة في مكانٍ يُشبه حديقة القصر، ويظهر أن المكان خارجي؛ لوجود شجرة تُشبه شجرة الحُور في الرسمة، وهي شجرة تزرع في الأماكن الرطبة، وتكثر على ضفاف دجلة والفرات،^x وما يؤكد أنها شجرة حُور شكلها الطويل وأوراقها المتجهة إلى الأعلى مع طول ساقها، ووجودها عند حوض الماء الذي تسبح فيه بطّان، وتُضخّ فيه المياه من أفواه فرسين رخامين، بالإضافة إلى كلب صغير مدلل يصعد الدرج باتجاه حوض الماء. ولعل في ذلك ما يكفي لتأكيد أن الحدث يقع في الحديقة الخارجية للقصر.

أما السيّدة فجلست في المنمنمة على مقعدٍ رخاميّ، يمين حوض الماء، زُخرفت رخامته بزخارف دقيقة، وقد أحاط المقعد قوسٍ حجريّ كبير نُحتت عليه أشكال متناسقة. لفت العجوز يديها حول عمود القوس كأنها تتشبّث به وهي تنظر إلى السيّدة والسيّدة تنظر إليها. أما رياض فوقفت مُقابلهما يسار الحوض، وقد تشبّثت بسور خلفها، وأمسكت بيدها الأخرى شالاً لفته حول

كثفها. بدت وقفة رياض مائلة، كأنها على وشك السقوط، وقد طأطأت رأسها، وعيناها تتجه إلى الأسفل باتجاه الأرض، وفي وجهها ملامح انكسار وحزن وبؤس. وظهرت سافرة الرأس، وشعرها أسود طويل، وفي جبينها جرح كبير تسيل منه الدماء على خديها.

وفي يمين المنمنمة، تظهر السيّدة وهي تُحدّث العجوز، وقد رفعت إحدى يديها بإشارة إلى انفعالها في حديثها، وأمسكت المقعد باليد الأخرى. عيناها تتجهان نحو العجوز وقد فتحت فمها قليلاً، مما يشير إلى أنها تتكلّم. ولا يبدو على ملامحها الحزن الشديد كما بدا على رياض، إذ يظهر رأسها مرفوعاً شامخاً، وليس في شفيتها التواء حزين، ولا في عينيها نظرة كئيبة. أما العجوز التي تلف يديها حول العمود فيظهر عليها الحزن، إذ تغلق عينيها بطريقة توحى بالامتناع، وتفتح فمها إشارة إلى كلامها مع السيّدة.

ارتدت السيّدة عمامةً على رأسها، لكنها لم تُغطّ شعرها كاملاً، فظهر في الصورة خلف السيّدة طويلاً مثل شعر رياض، أما العجوز فلقت وشاحاً حول رأسها غطت به شعرها إلا قليلاً يظهر عند جبينها.

اتفقت المنمنمة مع الحكاية حول بعض أساسيات الحدث، أي زمانه ومكانه وشخصياته وأفعالها والمساحة التي تحتلها الشخصيات، ومكان الشخصيات ووضعيتها في المنمنمة والحكاية، واختلف عنصر واحد أساسي بين الاثنين هو مكان الحدث، ففي أمره نظر، إذ يمكن أن يكون المكان في الحكاية صهريج القصر، وهو الأرجح، ويمكن أن يكون حديقة جانبية في القصر، وذلك بناءً على فهم المتلقي للحدث ووصف المكان.

أما العناصر المصاحبة للحدث فوجدت كلها باجتهاد من الرسام، إذ لم توصف في الحكاية شجرة أو بركة أو حيوانات، وما يلفت النظر اختيار الرسام شجرة الحور التي سبق ورسمها في المنمنمة الثالثة.

4 - المنمنمة 9

بداية الحدث	ص#	نهاية الحدث	ص#	المنمنمة	المنمنمة بالألوان
-------------	----	-------------	----	----------	-------------------

64	86	87	كما ترين	83	فكان يسير غدوة
----	----	----	----------	----	----------------



تَقَيَّ قَرِيبَ الْعُجُوزِ أَثَرَ بِيَاضٍ، وَسَقُوطِ بِيَاضٍ مَغْشِيًا عَلَيْهِ قَرَبَ نَهْرِ (الثرثار).

اللقطه في الحكاية: الصفحة 84 - 85

قال: فلم يزل يردد هذه الأبيات حتى رأيته قد سقط على وجهه مغشياً عليه وسكنت حركاته واصفر لونه، فما شككت فظننت أنه قد مات، فنهضت إليه ووقفت أنظر إليه متعجباً مما حلَّ به وجعلت أُنَبِّئُهُ وأُريته بهذه الأبيات حيث أقول [طويل]:

غريبٌ رماه الدهر بالبين والنوى

فما فاتته حتى ترَمَسَ بالهوى

إلى آخر الأبيات...

قال: وما زلت أردد هذه الأبيات وهو مع هذا كله ال يتحرك ولا يستيقظ من غشيته.

ذُكر في الحدث الحكائي نهْرٌ سُميَ (الثرثار)، ولم تُذكر تفاصيل غير ذلك للمكان، ويتضح من ذلك أن المكان خارجي، أما الزمن فيتضح أنه كان مساءً لقول العجوز: "فلما كان المساء."^x أما شخصيات الحدث فتُلاث شخصيات؛ العجوز، وقريبها، وبياض. كان دور العجوز ضئيلاً، ولم تظهر إلا عند طلبها من قريبها أن يتقفى أثر بياض في بداية الحدث، أما بياض وقريب العجوز فتوزعت الأدوار بينهم بالتساوي، إذ غنى كلاهما في الحدث. أما عن العناصر فلم يُذكر غير النهر في الحدث.

صوّر هذا الحدث في المنمنمة الموجودة في الصفحة (86)، وبدأت فيه إشارة ضمنية للزمان، فالمكان مُظلم والألوان قاتمة، مما يُشير إلى أن الحدث دار في المساء. وظهرت شخصيتان فقط، قريب العجوز وبياض. رُسم مكان الصورة على النهر قُرب القصر، فرُسم القصر خلف النهر، كما في المنمنمة الثامنة مع بعض الاختلافات، فرُسمت شجرتا حور في حديقة القصر عوضاً عن شجرة الحور والنارنج سابقاً، ورُسم بُرجان في سور القصر، وقد رُسم واحد فقط سابقاً. ورُسمت في النهر طاحونة مائية. واحتل القصر مساحة كبيرة في المنمنمة، فغطى الخلفية كاملة، واحتلت الطاحونة مساحة كبيرة أيضاً، تصل إلى ربع مساحة المنمنمة كاملة.

يظهر بياض في المنمنمة مغشياً عليه على طرف النهر، وذراعه اليسرى ممدودة إلى الأعلى وقد وضع وجهه عليها حيث يظهر جزء من جانب وجهه فقط، وتظهر رقبتة وقليل من شعره الذي يظهر من تحت العمامة فوق الرقبة، أما يده فتصل إلى النهر؛ إذ لمست أطراف أصابعه سطح الماء، وقد طاف جزء من عمامته في الماء. ورُفعت ذراعه اليمنى فوق رأسه ولم تظهر يده، وثوبه بُعِثَ فوقه على نحو عشوائي، أما عمامته فرُسمت باللون الأبيض، ولم تُرسم بهذا اللون في المنمنمات السابقة.

رُسم قريب العجوز واقفاً عند قدمي بياض، مُنحني الرأس، وفي ملامحه حُزن وقد أغلق عينيه، ولبس عمامة ورداء من قطعتين، فكانت القطعة الداخلية ثوباً بُني اللون، والقطعة الخارجية عباءة خضراء حملها رافعاً إياها عن الأرض. واللافت للنظر أن ألوان ثوبه مطابقة لألوان ثوب العجوز في المنمنمة السابعة.

يمكن التوصل بذلك إلى جوانب الاتفاق والاختلاف بين المنمنمة والحكاية، إذ دارت جوانب الاتفاق حول أساسيات الحدث، أي زمانه ومكانه وشخصياته وأفعالها وملامحها وانفعالاتها ووضعياتها، فقد غُشي على بياض في الحكاية وهذا ظاهر في المنمنمة، ووقف قريب العجوز يرثيه وهذا رُسم في المنمنمة. وكذلك الأمر بشأن العناصر المصاحبة للمشهد؛ إذ وجدت معظمها باجتهاد من الرسام، فلم يُذكر في الحكاية سوى نهر الثرثار، ورُسم الرسام الطاحونة المائية والقصر وما فيه من شجر باجتهاد منه، وما يلفت النظر، مُجدداً، اختيار الرسام للشجر الموجود في حديقة القصر، ورسمه بوضع مختلف عن وضعه في كل المنمنمات السابقة كلها، إذ رسم شجرتي حور على غير المعتاد.

5 - المنمنمة 10

بداية الحدث	ص#	نهاية الحدث	ص#	المنمنمة	المنمنمة بالألوان
عزّ والله عليّ	94	حتى يواريني القبر	99	97	48
عودة بياض وروايته قصة النسوة اللاتي كان معهن وأخبرنه بحال رياض.					

اللقطّة في الحكاية: (95 - 97)

قال: نعم لما بلغت الحديقة أنشدتُ بما تيسّر من الشعر، فبينما أنا كذلك إذا بنسوة منقبات بمروطهن وإحداهنّ بربطة ثياب على رأسها، فنزلن على النهر وأشرن إليّ أن أقبل بعدما نظرن إليّ ساعة، فمشيت إليهنّ فقمّن إليّ وكشفن عن وجوههنّ وقالت إحداهن:

ما تعرفني؟

قلت: لا والله ومن أنت؟

قالت: التي أخذت منك الكتاب.

فعرفتها وسلّمت عليها ثم قلت: ومن هذه؟

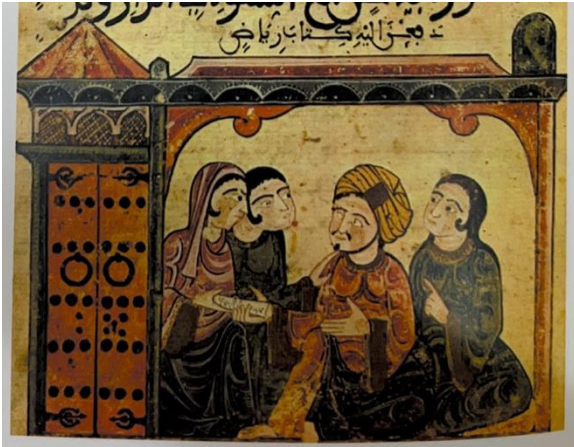
قالت: هي من أدخلتنا فليس عليك منها بأس.

قلت: وهذه الأخرى؟

قالت: جاريتها.

قلت: وأين مسكن هذه المرأة صانها الله؟

قالت: بالقرب من هنا، ولكن امشي معنا حتى ترى دارها وتعرفه والدار خير من الفحص وأستر لأمرنا.



فمضيت معهن إلى الدار فإذا بالقرب من النهر في موضع مليح، فأخبرنني بأخبار رياض ودفعن إليّ هذا الكتاب ووالله ما أعلم ما فيه.

لم يُذكر زمنٌ محدد للحدث في الحكاية، أما المكان فيتضح من سير الأحداث أنه دار في بيت العجوز، أما قصة بياض مع النسوة فيتضح أنه دار قُرب نهر الثرثار. وقد خلا الحدث من أي تفاصيل لوصف المكان، ولم يُذكر إلا أن بياض دخل مع النسوة إلى بيت إحدهن.

صوّر هذا الحدث في المنمنمة الموجودة في الصفحة (97)، ولا تظهر في المنمنمة أي إشارة للزمان، فقد رُسم الحدث في مكان داخليّ، كبيت صغير أو غرفة، ووجدت في المنمنمة أربع شخصيات؛ بياض، والنسوة الثلاث. ويتضح أن المكان داخليّ كأنه بيت محدد؛ لأنه مُسوّر من جميع الاتجاهات، ويظهر باب البيت من الخارج ومشهد إحدى الغرف من الداخل، إذ يبدو أن الرسّام جعل واجهةً من واجهات البيت مرئية للمشاهد، فأعطى المتلقي نظرةً خارجية وداخلية للمكان في آن واحد، ولم تُرسم تفاصيل أثاث البيت أو غرفه، بل رُسم مُربع واحد ضيّق حُشرت فيه النسوة ومعهن بياض، حتى كان السقف قريباً لرؤوس الشخصيات مع أنهم جالسون، فيبدو أن الرسّام رسم المنمنمة بهذا الشكل توضيحاً للمكان الذي ذهب إليه بياض والنسوة، ولذلك رسم البيت من الخارج، فرُسم السقف، والمقرنصات التي زينت، ورسم الباب الخارجي الذي بدا كبيراً وموصداً، وفوقه مقرنصات دقيقة.

أما الشخصيات فرُسمت جالسةً داخل البيت، وعلى عكس حال التباعد الواضحة بين بياض والنسوة في المنمنمات السابقة، توسط بياض النسوة في هذه المنمنمة على نحو غريب، وحوّطنه وكُنّ قريباتٍ منه كثيراً، حتى إن إحادهن وضعت يدها على كتفه، وبدت نظرات شخصيات النساء قلقة وغير مُريحة، أما بياض فلا تبدو في ملامحه علامة معينة، فلا تتضح مشاعره منها.

تلبس النسوة الثلاث رداءً بنفس اللون، ولكن الشخصية ذات غطاء الرأس تلوّن غطاء رأسها بلون مختلف، ورُسمت وهي تُعطي بياضاً مكتوباً تظهر عليه خطوط عشوائية بإشارة إلى الكلام المكتوب عليه.

وكما هو الحال في المنمنمات السابقة تتفق هذه المنمنمة مع الحكاية في أساسيات الحدث، أي زمانه ومكانه وشخصياته وأفعالها ووضعياتها، فقد رُسمت الشخصيات في المنمنمة في بيت، وهذا يتوافق مع ما ذكر في الحكاية من إشارة إلى ذهابهم إلى بيت محدد، ولكن ملامح الشخصيات وانفعالاتها لا تتفق بين المنمنمة والحكاية، إذ تظهر النساء في المنمنمة خائفات

ومضطربات، أما في الحكاية فلم يكن كذلك، وليس فيها إشارة إلى ما يؤيد ذلك. وقد اختلفت العناصر المصاحبة للمشهد أيضًا بين الحكاية والمنمنمة، فلم تذكر أي عناصر في الحكاية، ولكن الرسام رسم بابًا وزينةً ومقرنصات للبيت الذي دار فيه الحدث باجتهاد واضح منه.

6 - المنمنمة 11

بداية الحدث	ص#	نهاية الحدث	ص#	المنمنمة	المنمنمة بالألوان
فلما تم	104	وتروح عليها	119	115	49
ذهاب العجوز إلى السيدة ورؤيتها رياض، وعفو السيدة عن رياض.					



اللقطة في الحكاية: الصفحة 114 - 116

... ثم دخلن على السيدة وهي كالغاضبة فخرت رياض بين يديها ساجدة.

فقال لها السيدة: ارفعي رأسك يا رياض.

فقال رياض: لا والله لا أرفع رأسي حتى ترضي عني رضاءً صحيحاً قبل

الموت.

قالت السيدة: ارفعي رأسك بحقي عليك فإنني عنك راضية وأفعل لك ما ترغبين ولو كان حمامي في ذلك.

دار الحدث الحكائي الطويل في القصر، أي في مكان داخلي، ولكن من خلال الأحداث يتضح أن الحدث دار في مكانين أساسيين في القصر؛ الدار التي حُبست فيها رياض، والغرفة التي تجلس فيها السيدة، أما الزمان فلم يُذكر ولم يُشر إليه بأي طريقة. وقد ظهرت في الحدث أربع شخصيات؛ العجوز، وبياض، والسيدة، والجارية المليحة التي حُرست الدار التي حُبست فيها بياض. وتوزعت أدوار الشخصيات بينها بالتساوي، فلم يظهر أن شخصية استحوذت على أجواء الحدث أكثر من غيرها.

وفي الحكاية شخصيات هامشية أيضاً، هن الجواري، ولم يُذكر وصفهن أو عددهن، ولم تذكر أسماءهن. أما العناصر التي وجدت في الحدث فثياب رياض فقط.

صوّر هذا الحدث في المنمنمة الموجودة في الصفحة (119)، ولا تظهر في المنمنمة أي إشارة للزمان، أما المكان فيبدو أنه خارجي، يظهر فيه عشب أخضر وتتوسطه شجرة نارنج تبدو كأنها تخرج من رأس رياض الساجدة.

ترتدي السيّد رداء من قطعتين؛ داخله بني فاتح، وخارجه داكن كأنه أسود، ولبست على رأسها قبعة كبيرة جداً، ساوت طولها بطول الجواري الواقفات. وقد أمسكت ثوبها بيد وأشارت إلى بياض الساجدة باليد الأخرى، وفي وجهها علامات امتعاض. ورسمت السيدة وقد جلست يمين المنمنمة مادّة ساقها، وأمامها رياض تضع رأسها عند قدمها. وتحت السيّد فراش وأرضية خشبية أو حجرية زُيّنت بمقرنصات واضحة وكبيرة وغير معقدة، احتلت ما يقرب ثلث المنمنمة.

أما رياض فتوسطت المنمنمة وسجدت عند قدم السيّد مبتسمة، يدها تستند إلى العشب، وساقها على القاعدة الخشبية وقد بدت مبتسمة، في حين بدت على وجه العجوز والجواري ملامح ممتعضة غير سعيدة، ورفعت العجوز وإحدى الجواري أيديهن كأنهن يكلمن السيّد ويعترضن على أمر ما. وقد ارتدت العجوز ثوبها ذاته الذي ارتدته في المنمنمة السابعة، داخله بُني، وخارجه أخضر، ولونه الأخضر يبدو أوضح من المنمنمات السابقة.

وفي هذه المنمنمة لم تتفق الحكاية والمنمنمة في أي من العناصر، إلا في وصف الشخصيات، إذ وجدت الشخصيات نفسها في الحكاية والمنمنمة، ولم توجد الجارية الحارسة، ولكن يمكن تبرير ذلك بأنها لم توجد إلا في المشاهد التي كانت في الدار التي حبست فيها رياض، كما اتفقت الحكاية والمنمنمة في وضعيات الشخصيات؛ في الجلسة والسجود والوقوف، أما ما عدا ذلك فاختلف كلياً، وأول الاختلافات وأهمها عنصر المكان، فعنصر المكان عنصر أساسي في الحدث، إذ تشير الحكاية إلى أن المكان داخلي، ولكن الرسم رسم الحدث في مكان خارجي. كذلك الزمان، فلم تشر الحكاية إلى زمان محدد، إلا أن الرسام رسم المنمنمة في وضع صباحي تظهر فيه الألوان باهية.

7 - المنمنمة 12

بداية الحدث	ص#	نهاية الحدث	ص#	المنمنمة	المنمنمة بالألوان
-------------	----	-------------	----	----------	-------------------

فقلت لها	119	كالذي تركتهما	119	120
عودة العجوز إلى بياض وقريبها وإخبارهم عما حصل عند السيدة.				

اللقطّة في الحكاية: الصفحة 119

فانصرفت إلى منزلي فلقيت بياضاً مع قريبي يلعبان الشطرنج كالذي تركتهما.



عند القراءة الأولى، يبدو أن هذا الحدث مُقتطع أو غير منقول من المخطوطة كاملاً، بل يبدأ وينتهي بفعل واحد، هو وصول العجوز إلى البيت، ورؤيتها بياضاً وقريبها على نفس حالهما الذي تركتهما عليهما يلعبان الشطرنج. ولا يُذكر وقت الحدث، إلا أن الحكاية تذكر أن احتفال نساء القصر بصلح السيدة ورياض انتهى عند الأصيل، إذ قالت العجوز: وكنا كذلك إلى الأصيل^{xi}، وقد عادت العجوز بعدها مباشرة إلى بيتها، فلا بد أن هذا زمن الحدث. وفي حث الحكاية ثلاث شخصيات؛ بياض، والعجوز، وقريبها، ودار الحدث في بيت العجوز. ولم تُذكر من العناصر إلا لعبة الشطرنج التي كان يلعب بها بياض وقريب العجوز.

أما ما يؤكد أن الحدث لم يصل كاملاً فهو أن العجوز تكلم بياضاً امرأة إياه أن يقوم من نومه بعد جملة هذا الحدث، فلا تتسلسل الأحداث بذلك، وقد لاحظ مُحقق المخطوطة الأمر نفسه ونوّه إليه في هوامش المخطوطة، وهذا النقص لا بُد أن له أثر في القدرة على المقارنة بين الحكاية والمنمنمة على نحو دقيق.

صوّر هذا الحدث في المنمنمة الموجودة في الصفحة (119)، فرُسِم الحدث في بيت العجوز، ولم تظهر فيه أي إشارة للزمان، فالمكان مغلق ولا يمكن تمييز الوقت فيه، بالإضافة إلا أن المنمنمة لم تتوافر بالألوان، فلا يمكن تمييز الألوان فيها.

وقد ظهرت في المنمنمة الشخصيات الثلاث الموجودة في الحدث الحكائي؛ بياض، والعجوز، وقريبها. وظهرت في المنمنمة عناصر مختلفة لا يمكن البت في مطابقتها لعناصر الحكاية بسبب النقص في المخطوط، ولكن العنصر المساند الوحيد الذي وُجد في المنمنمة وورد في الحكاية هو لعبة الشطرنج، أما ما عدا ذلك من المقرنصات التي زينت البيت، والدرع الذي عُلق على الحائط فلم يُذكر في المنمنمة.

تتضح بذلك بعض التشابهات بين المنمنمة والحكاية، وبعض الإضافات في المنمنمة على الحكاية، إذ وجدت الشخصيات نفسها في الحكاية والمنمنمة، كما اتفقت الحكاية والمنمنمة في وضعيات الشخصيات؛ بياض وقريب العجوز جالسان يلعبان الشطرنج، والعجوز واقفة لأنها دخلت البيت للتو، أما ما عدا ذلك فاختلف كلياً، وقد وصف الحدث في الحكاية ورُسِم في المنمنمة في بيت العجوز، كما وُجدت لعبة الشطرنج في الحكاية والمنمنمة، أما مقرنصات البيت الداخلية والخارجية فأضيفت من قبل الرسام ولم تُذكر في الحكاية.

8 - المنمنمة 13

المنمنمة بالألوان	المنمنمة	ص#	نهاية الحدث	ص#	بداية الحدث
	121	122	إن شاء الله	120	وقفت عند رأسه
			تبشير بياض بوعد السيدة أن تصله مع رياض.		

اللقطه في الحكاية: الصفحة 121 - 122

وقفت عند رأسه وقلت انتبه أيها النائم الذي يزعم أنه عاشق وقلت الأبيات [كامل]:

فألوصل أحلى ما تمنى الوامق

إني أتيتك فانتبه يا عاشق

فاسمع مقالتي إن قولي صادق

إني أتيتك عن بيان ظاهر

فانتبه من نومه وهو يمسح لعابه من فمه، أعاشق ينام حتى يسيل لعابه أين هذا لرهين الوجد والاشتياق، فلما سمع قولي أنشأ هذه الأبيات حيث يقول [طويل]:

أذابت فؤادي طيفها في مناميا

وما نمت لكني رجوت من التي

إلى آخر الأبيات...

قلت: أمسك عليك قد فتح الله باباً أرى فيه النجاح والفرج إن شاء الله.

قلت: كذا وكذا ووصفت له الأمر كما جرى من قصة لاعب وكاعب وما جرى لي مع الوصائف كلهن وقصة الحاجب وحبه في رياض وحب سيدها لها وتدلها عليها وطلب السيدة رضاها، وأخبرته بالوعد فطاش لذلك نُبّه وقال:
أنى لي بذلك؟

لا يتضح زمان الحدث، فلا إشارة إليه في الحكاية، أما المكان فبيت السيّدة، ويتضح ذلك من استغراق بياض بالنوم. وتظهر في المنمنمة شخصيتان، هما العجوز وبياض.

صوّر هذا الحدث في المنمنمة الموجودة في الصفحة (121)، ولا توجد فيها إشارة للزمان، كما أن ألوان المنمنمة غير واضحة، وتتضح من الشخصيات العجوز وحسب، أما بياض فلا يظهر أين هو أو كيف رُسم، لأن الخطوط والرسوم غير واضحة في الصورة، ولكن يبدو أنه ممدّد على الأرض وتحت فراشه، والعجوز تقف عند رأسه. ويبدو أن المنمنمة رُسمت في بيت العجوز، إذ يُمكن رؤية برواز البيت شبيهاً ببرواز بيت العجوز في المنمنمة السابقة، إلا أن ما تبقى من عناصر مُختفٍ غير ظاهر.

وُجدت هذه المنمنمة في المصدر الرئيس المتاح للمخطوطة في نهاية الحكاية، وكانت المنمنمة الأخيرة في الكتاب، إلا أن التمعّن في تطوّر أحداث الحكاية، وتفاصيل المشاهد والشخصيات التي أدّرت أحداثها يكشف أن هذه المنمنمة وأحداثها لم يُنقل في المكان الصحيح، وربما يكون ذلك لكشط في صفحات المخطوطة وضياع بعضها وعدم وضوح البعض الآخر، فالشخصيات التي ذكرتها العجوز في هذا الحدث؛ كاعب ولاعب والحاجب، وُجدت في افتتاحية الحكاية في الكتاب الذي حققه وقدمه د. صباح جمال الدين، فلا بُد أن قول العجوز "ووصفت له الأمر كما جرى من قصة لاعب وكاعب وما جرى لي مع الوصائف كلهن وقصة الحاجب وحبه لرياض..."^{xii} إنما كُتب في أصل الحكاية قبل ذكر القصة الموجود في الصفحة الأولى من الحكاية، وهكذا ثُملاً فراغات اللبّات الضائعة في هذا الحدث، فقارئه يستغرب من ذكر الحاجب وقد انقطع ذكره طوال الحكاية، ويظن أن شيئاً من وسطها ضائع، والأمر ليس كذلك، بل إن الحدث برُمته، من الصفحة (120) عند قول العجوز: "وقفت عند رأسه وقلت له: فانتبه أيها النائم" إلى قولها: "إن شاء الله" في الصفحة (128) دار قبل حديث العجوز عن حدث الحاجب مع

كاعب ولاعب الذي كانت تتقله لبياض في بداية الحكاية، إلا أن نقصاً في صفحات المخطوطة وكشطاً في حبرها أدى لخطأ في ترتيب الأحداث على ما يبدو، ويُمكن التأكد من أن مكان الحدث هنا خطأ لأن الجملة الأخيرة من الحدث الذي يسبقه والجملة الأولى من الحدث الذي يليه يتفقان، وتواترهما يُكمل معنى المخطوطة إذا أصبح الكلام كما يأتي:

قالت العجوز: فقلت لها يا سيدي ما ترين في الأمر أم كيف يكون؟

قالت: لا تُحدثني شيئاً حتى يردك رسولي إن شاء الله.

فانصرفت إلى منزلي فلقيت بياضاً مع قريبي يلعبان الشطرنج كالذي تركتهما.

قالت العجوز: فلم نر لها رسولاً نحو الشهرين حتى ظننت ظنوناً فاسدة، وكنت أقول مرة استهزأت بي، ومرة أقول ماتت رياض...

ويُمكن التأكد من أن الحدث الثالث عشر دار في الحقيقة قبل بداية الحكاية كما نُقلت أن الأفكار فيها سابقة للأحداث التي جرت في بداية الحكاية، إذ يدور فيها الحديث عن كاعب ولاعب والحاجب، وذلك حدث في بداية الحكاية، كما يدور حديث بين العجوز وبياض عن وعد يوم الجمعة والترتيب لنزهة الحديقة، وتلك النزهة بدأت الجوّاري يُحضرن لها في الحدث الثاني ودارت أحداثها في الحدث الثالث والرابع والخامس، ولم تُذكر نزهة غيرها في الحكاية. كما أن الجهل بحب رياض لبياض يتكرر في الحدث كثيراً، وقد صرّحت رياض بحُبها لبياض منذ الحدث الثالث، فلا شك أن المكان الصحيح لهذا الحدث يسبق ذلك. وكل تلك الأمور تؤكد أن الحدث الثالث عشر في الحكاية مكانه خطأ في الحدث الثامن، وأن مكانه الصحيح قبل بداية الحكاية في المشهد الأول.

الخاتمة

لقد عملت الدراسة على كشف الأنساق الثقافية بين الحكاية والمنمنمة الإسلامية في مخطوطة (بياض ورياض)، وركزت في تحليلاتها على المقارنة الأنساق الثقافية الحاضرة في الحكاية مقابل نظيرتها الحاضرة في المنمنمة، وتساءلت الدراسة عن

مدى الاختلاف بين العناصر والأنساق الثقافية في الحكاية والمنمنمة، ومدى التزام المصوّر بثقافة الحكاية، أو تأثره بثقافته هو في رسم المنمنمات.

وللإجابة عن ذلك اتبعت الدراسة إجراءات محددة، فبدأت بتعريف المعاني والمفردات، وتقديم المعلومات اللازمة لفهم الدراسة في مدخل النظري، ثم انتقلت إلى مقارنة العناصر الموجودة في أحداث الحكاية مقابل العناصر الموجودة في المنمنمة التي تُمثل الحدث، وتسليط الضوء على الزيادة أو النقصان بين عناصرهما.

ومن خلال إجراءاتها البحثية وتحليلاتها النقدية توصلت الدراسة إلى أن رسام المنمنمات لم يلتزم بنص الحكاية حرفياً، فقد أضاف العديد من العناصر التي لم تُذكر في الحكايات إلى المنمنمات باجتهاد منه، وكان لذلك أثر إيجابي في معظم الأمثلة، إذ جعلت سير الحكاية أكثر سلاسة، وزادتها ثراءً غنيّ. ولم تُخلِ زيادات رسام المنمنمات بمعنى الحكاية أو رؤيتها في معظم المنمنمات، إذ أضاف رموزاً تدعم مقصد الحكاية، وكانت أحياناً رموزاً ذات أبعاد ثقافية.

واختلفت الدلالات والتحيزات الثقافية بين الحكاية والمنمنمة فيما يتعلق بالحضارة الجغرافية، إذ تحيزت دلالات الحكاية للعراق والشام في دلالاتها ورموزها ووصفها للمكان والعناصر المصاحبة للحكاية، في حين تحيزت دلالات المنمنمة للمغرب العربي والأندلس في دلالات رسومها، والعناصر المصاحبة فيها، والزيادات التي أضافها الرسام باجتهاد منه ولم توجد في الحكاية.

اتفقت الدلالات والتحيزات الدينية بين الحكاية والمنمنمة، فكلاهما يدور ضمن قضاء إسلامي واضح.

وعلى ذلك تقترح الدراسة القيام بمزيد من الدراسات التي تدرس علاقة النص بالصورة ولاسيما في النصوص القديمة وعلاقة الحكايات بالمنمنمات للوقوف على طرائق التعبير عن المعاني من خلال الرسومات. وتقترح الدراسة أيضاً إعادة ترتيب صفحات كتاب (بياض ورياض) ليتناسق تطور الأحداث والمنمنمات المعبرة عنها.

الهوامش:

Nigeria. 2008. 23.: Iwuchukwu, Onyeka. Elements of Drama. National Open University of Nigeria

ii ينظر: .524. Corrigan, Timothy & White, Patricia. The Film Experience. Bedford/StMartin: Boston. 2004.

iii ينظر: المرجع السابق. 524.

iv ينظر: القاضي، محمد وآخرون. معجم السرديات. دار محمد علي للنشر: تونس. 2010م. 145.

v ينظر: .524. Corrigan, Timothy & White, Patricia. The Film Experience.

vi مجهول. بياض ورياض. 6.

vii مجهول. بياض ورياض. 27.

viii المصدر السابق. 27-28.

ix ينظر: ASPD التقدم العلمي للنشر. 2023-9-9 عبر الرابط:

<https://www.aspdkw.com/%D9%86%D8%A8%D8%B0%D8%A9-%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D9%86-%D8%B4%D8%AC%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%88%D8%B1/>

x مجهول. بياض ورياض. 83.

xi المصدر السابق. 114.

xii المصدر السابق. 122.

قائمة المصادر والمراجع

مجهول. بياض ورياض، قصة من التراث العربي. التحقيق والتقديم: جمال صباح الدين. دار الوراق: لبنان. 2014.

القاضي، محمد وآخرون. معجم السرديات. دار محمد علي للنشر، تونس. 2010.

نبذة تعريفية عن شجرة الحور. ASPD التقدم العلمي للنشر. عبر الرابط:

<https://www.aspdkw.com/%D9%86%D8%A8%D8%B0%D8%A9-%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D9%86-%D8%B4%D8%AC%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%88%D8%B1/>

